القاضي كريم الدين الكبير

م.م سوزان عادل لطيف الدليمي
وزارة التربية/ المديرية العامة لتربية بغداد/ الرصافة الاولى
Suzanadil@86gmail.com

المستخلص

شهد العصر المملوكي الأول الذي يشمل دولة المماليك البحرية التي حكمت من (٦٤٨-٧٨٤ه) ظهور العديد من الشخصيات التي كان لها دوراً مهم فيها، بل انها تركت بصمة واضحة لها في شتى الميادين، لاسيما في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١ه) حيث برز العديد منهم وأصبح لهم تأثير واسع ومن بين هؤلاء كريم الدين الكبير الذي عمل في خدمة الدولة المملوكية؛ ونال بعد ذلك العديد من المناصب المهمة فيها ومنها منصب وكيل الخاص السلطاني ونظراً للدور الكبير له في هذه الدولة لذلك تم اختياره عنوان لبحثنا الموسوم بـ(القاضي كريم الدين الكبير).

الكلمات المفتاحية: القاضي، كريم الدين، الكبير

Abstract

The first Mamluk era, which included the Bahri Mamluk state that ruled from (648-784), witnessed the emergence of many figures who played an important role in it and how they left a clear imprint in various fields. In the era of the Mamluk Sultan Al-Nasir Muhammad bin Qalawun (693-741) in particular, many of them became prominent and had a wide influence. Among them was Karim al-Din al-Kabir, who worked in the service of the Mamluk state and later attained important positions in it, especially the position of the Sultan's special agent. In view of his great role in this state, he was chosen as the title of our research entitled "Judge Karim al-Din al-Kabir".

Keywords: Judge, Karim El-Din, El-Kabeer

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي جعل من خلقه الأنبياء والصالحين وأختار سيدنا محمد من الخلق أجمعين وأرسله رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

عند دراسة أي شخصية لابد من الرجوع بداية الأمر إلى أسمه وصفاته وديانته وتطرقت الدراسة بعد ذلك إلى بدايات كريم الدين في تولي المناصب الإدارية قبل انتقاله لخدمة المماليك حيث يعمل لدى العديد من الأمراء فضلاً عنه أنه شغل منصب كاتب في البيوت السلطانية وكيف انتقل بعد ذلك إلى خدمة ركن الدين بيبرس الجاشنكير ومن خلاله تعرف على السلطان الناصر الذي أعجب بشخصيته وعمل على اختياره في منصب وكيل الخاص السلطاني فأصبحت أمور الدولة الداخلية والخارجية جميعاً في يده.

وتطرقت الدراسة في ما بعد إلى التكلم عن فضائله الواسعة وبالرغم من ذلك نجد إن بعض الكتاب أشاروا إلى وجود بعض النواحي السلبية خلال عهده ومما ينبغي الإشارة اليه هو ان كريم الدين لم يكن مهتما فقط بالجوانب الإدارية والسياسية والعسكرية فقط بل نجده مهتماً بالجانب العمراني ايضاً خاصة فيما يتعلق بأنشائه للجامعين هما الجامع الكريم والقابون.

وتناولت بعد ذلك الدور الكبير الذي كان لكريم الدين في وقعة النصارى بمصر سنة٧٢١هـ/1321م وكيف عالج الموقف وانهاء الصراع القائم بين المسلمين والنصارى وبالرغم مما وصل إليه كريم الدين من مناصب هامة في الدولة المملوكية وقربه من السلطان بالدرجة الأولى غير إن هذا الأمر لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما عمل أهل الوشاية على الإيقاع به عند السلطان الذي تغير عليه وعمل على عزله ونفيه، ثم أشرت إلى وفاة كريم الدين والجدل الذي دار حول هذا الأمر فنجد إن البعض قالوا ان كريم الدين هو الذي قتل نفسه بعد الظروف الأخيرة التي مر بها والبعض الأخر رأى أنه قتل من قبل بعض القادة والأمراء المماليك ولا بد من القول أنه ليس من المعقول أن يقدم كريم الدين عل قتل نفسه وانما هي مؤامرة دبرت للتخلص منه وعدم إعطائه فرصة ثانية للرجوع في خدمة السلطان المملوكي و هذه النهاية المؤلمة التي تعرض لها كريم الدين لم تليق بمثل هذا الرجل الذي قدم خدمات واسعة للدولة المملوكية.

وأنا اضع اللمسات الأخيرة للبحث أرجو من الله أن أكون قد وفقت فيه وأنا لا أدعي الكمال في محتوياته فهناك حتماً نقص في المعلومات المعروضة إلا أنني بحثت في معظم المصادر وجدت بعض الإشارات الموجزة عن القاضي كريم الدين الكبير وتم الاعتماد عليها في بحثنا هذا .

ـ أسمه

هو عبد الكريم بن هبه الله بن العلم بن هبه الله بن سديد المصري (الكتبي، ٢٠٠٠م، صفحة ٣) (أبن العماد، ١٩٩٢م، الصفحات ١١٣-١١٤) المعروف بـ(كريم الدين الكبير) (أبن تغري بردي، ١٩٩٣م، صفحة ٣٤٥)

ـ صفاته

كان حسن الشكل تام القامة (أبن كثير، ١٩٩٨م، صفحة ١١٦) عاقلاً وقوراً خيراً سامحاً ذو هيبة كبيرة (الذهبي، ١٩٨٥م، صفحة ٧١)

ـ ديانته

الديانة النصرانية كانت ديانته الرسمية منذ الصغر، غير أنه ما لبث إن أعلن إسلامه في أيام الدولة الناصرية (النويري، د.ت، صفحة ٣٥).

ـ بدايتهِ

كان كريم الدين في أيام شبابه يعمل مع خاله تاج الرياسية بن سعيد الدولة إذ كان معه في مدينة قوص (قوص مدينة كبيرة وهي قصة صعيد مصر ومحطة التجار القادمين من عدن وأكثرهم من هذه المدينة وهي شديدة الحرارة لقربها من البلاد الجنوبية) (ياقوت الحموي، د. ت، صفحة ٤١٣) وذلك عندما كان كاتباً للأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرين متولي الأعمال السيفية، زمن الدولة المنصورية السيفية، وعمل كريم وقتها في كتابة المسطبة و يقصد بها كتابة نائب الولاية ثم خدم بعد ذلك الأمراء ومن بينهم الأمير سيف الدين جاورشي الحسامي و الأمير سيف الدين قجقرا وغيرهم الكثير، وعمل بعدها كاتب في البيوت السلطانية باشر بعد ذلك النظر في ديوان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وخلال فترة وجوده مع بيبرس بلغ شهرة واسعة أذ تداول الناس أسمه لاسيما أنه كان كريم النفس ومساعداً للأخرين فنجدهم قد رغبوا في صحبته والاجتماع به (النويري، د.ت، صفحة 35). (الصفدي، ٢٠٠٠م، صفحة ٦٦) .

أشار لنا النويري في كتابه إن كريم الدين قد ذهب مع بيبرس اثناء توجهه إلى مصر، السلطان المملوكي في ذلك الوقت هو الملك الناصر الذي جاء إليه كريم الدين برسالة من مخدومه واعاد الخزانة التي كانت معه فخلع عليها السلطان بعد ذلك غير أنه سرعان ما قبض عليه مع بيبرس عمل كريم الدين بإعطاء أموال كثيرة للأمراء من أجل إقناع السلطان بالأفراج عنه ومن بينهم نائب السلطان الأمير سيف الدين بكتمر، بل إن الأمير جمال الدين آقش الأشرفي قد أقنع السلطان الناصر بالأفراج عنه فعفا عنه ليس هذا فقط بل جعله ينظر الخاص بالوجه القبلي التي كانت لبيبرس أيام إمرته (النويري، د.ت، صفحة 37) , بل كانت له علاقه مع وكيل الخاص الشريف السلطاني شهاب الدين أحمد بن علي و أصبح فيما بعد وكيلاً له وبعد وفاة شهاب الدين تم اختيار كريم الدين من قبل السلطان الناصر قلاوون وجعله ناظراً للدولة وذلك في جمادى الأولى سنة ٧١٠هـ/1310م(النويري ،د.ت، ص37) (عبدالعزيز، ٢٠١٤م، صفحة ٢٢٣٤) .

ـ وكيل الخاص السلطاني(ناظر الدولة)

بعد إن تم اختيار كريم الدين الكبير كناظر للخواص (أبن تغري بردي، ١٩٩٣م، صفحة 346) ومدبر الدولة نجده نال مرتبة عالية فوق ما يناله الكتاب أو الوزراء من الحرمة والوجاهة والتقدم (الكتبي، ٢٠٠٠م، صفحة 3) (أبن سباط، ١٩٩٣م، صفحة ٦٤١) ليس هذا فقط بل أن السلطان الناصر قد جمع القضاة وفوض إليه وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر السلطنة وحضورهم فأصبحت الأمور في البلاد منوطة به، وقد ولاه السلطان جميع ما ولاه الله تعالى وعمل حكام البلاد المجاورة لهم على مكاتبته كما كاتبوا السلطان (عبدالعزيز، ٢٠١٤م، صفحة 2234), وزاده السلطان في التشاريف فخلع عليه أولاً كنجي ثم رفعه عن هذه الرتبة فخلع عليه أطلساً معدنياً أبيض و تحتانية أطلس أخضر بطرز مزركش على الفرجتين ولم يخلع على متعمم قبله ذلك ولا نائب سلطة وسمح له ان يلبس في خلعة الشاش المثمر الذي لا يخلع الاعلى صاحب حماة وهو شاش سكندري مقفص بحواش زرق بقبضات ذهب مصري (النويري، د.ت، صفحة 38) (أبن تغري بردي، ١٩٩٣م، صفحة 345) ونظراً لقوة شخصيته وتمكنه من الإدارة تكبر

علي كبار الأمراء ولكنهم لم يستطيعوا البطش به وذلك لحسن إدارته في تسيير العمل في الدولة (عبدالعزيز، ٢٠١٤م، صفحة 2243).

ـ صلاحياته

أصبح لكريم الدين الكبير العديد من الصلاحيات في الدولة المملوكية فقد اختص بالوزارة وأشرف على العديد من الأوقاف (النويري، د.ت، صفحة 37) وفوض إليه السلطان الناصر النظر في البيمارستان المنصوري الذي شهد في عهده تطوراً كبيراً وكلما توجه إلى هذا البيمارستان تصدق بعشرة ألاف درهم (الصفدي، ١٩٩٨م، صفحة ١٥٠), وخزائن الدولة جميعها تودع في بيت كريم الدين وإذا أراد السلطان شيء أرسل إليه مملوك إلى بيته وأخذ منه ما يريد فيجهزه إليه من بيته (الصفدي، ٢٠٠٠م، صفحة 67), ولا بد من القول أن اوامره كانت تصدر لفظاً وليس خطاً ولا يتراجع في أي أمر سواء ولاية أو عزل أو خلاف او منع أو زياده أو زيادة أو توفير (النويري، د.ت، صفحة 38) فنجد إن الكتبي أشار إلى ذلك بقوله (ومن رياسته أنه كان إذا قال نعم فهي نعم وإذا قال لا فهي لا وهذا تمام الرياسة (٢٠٠٠م، صفحة 7)

ــ حجه مع الناصر محمد بن قلاوون وزوجته الخوندة طغاي

اتجه كريم الدين الكبير إلى مكة المكرمة حاجاً لمرتين المرة الأولى مع سلطان الإسلام الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة٧١٨ه/ 1318م ـ ومعهم جمعاً كثير من الأمراء والكتاب والقضاة (أبن كثير، ١٩٩٨م، صفحة 93)، أما المرة الثانية فكانت سنة٧٢١هـ/1321م مع زوجة السلطان الخوندة طغاي وحمل لها الخضراوات والبقول والرياحين في محائر طين على ظهور الجمال وأخذ الأبقار فسارت معهم طوال الطريق لأجل عمل اللبن والجبن ولم يعهد سفراً امرأة من نساء الملوك مثل سفرها (المقريزي، 1997، صفحة ٤٨) (الجبرتي، د.ت، صفحة ٣٨٠) (فواز، د.ت، صفحة ٤٦٣)

ـ الجوانب الإيجابية والسلبية في عصره

من المعلوم إن كريم كان رجلاً كريماً ومساعداً للجميع دون استثناء فقد اشارت كتب التاريخ إلى العديد من البصمات الواضحة التي بينت كرمه وهي كثيرة لا تعد ومن أبرز ما ذكرته الكتب عن مكارمه هي:

حضرت إليه أمرأه رفعت قصة تطلب منه ازاراً فوقع لها بثمانمائة درهم فلما رأى الصيرفي القصة أنكر ذلك وحضر إليه وقال يا سيدي هذه سألت إزاراً والإزار ما ثمنه هذا المبلغ فقال صدقت وأخذ القصة وقال هذه متاع الله وزادها ثمانين درهماً وقال ما اردت إلا ثمانين ولكن الله أراد الثمانمائة فوزن الصيرفي للمرأة ثمانمائة وثمانين (الكتبي، ٢٠٠٠م، صفحة 5) (العسقلاني، 1972م ، صفحة 203).

وكريم الدين كان قليل ما يحاسب صيرفيه فقيل أنه كان له صيرفي يستدعي منه ما يريد صرفه لمن يسأله شيئاً وإن الصيرفي أحضر أليه مرة وصولات ليست بخطه فانكرها فقال الصيرفي هذا في كل وقت يحضر إلى مثل هذه الوصولات فقال إذا جاء امسكه واحضره، فلما جاء على العادة امسكه و احضره إلى بابه فقيل إن الصيرفي وقع بالمزور، فقال سيبوه مالي وجه أراه ثم قال احضروه فلما مثل بين يديه فقال ما حملك على هذا؟ قال لحاجة فقال له كلما احتجت إلى شيء أكتب به خطك على عادتك لهذا الصيرفي ولكن أرفق فإن علينا كلفاً كثيرة، وقال للصيرفي كل ما جاءك شيء من خط هذا فأصرفه ولا تشاور عليه (الصفدي، ١٩٩٨م، صفحة 147) .

ومما يدل على كرمه ايضاً ما إشارة إليه الكتبي بقوله: إن علاء الدين بن عبد الظاهر ونجم الدين بن الأثير قعداً يوماً على باب القلعة واجريا ذكر كريم الدين ومكارمه، فقال علاء الدين ما مكارمه إلا لمن يخافه فهو يصانع عن نفسه فما كان بعد يومين أو ثلاث حتى احتاج نجم الدين الى رصاص يجعله قدور حمام فكتب ورقة الى كريم الدين يسأله بيع جملة من الرصاص بديوان الخاص فحمل إليه جملة كثيرة فضله عما طلب بثلاثين قنطاراً ولم يأخذ له ثمناً (٢٠٠٠م، صفحة 7).

إضافة إلى ذلك كان في كل أول ثلاثة الشهور الهجرية وهي (رجب- شعبان- رمضان) من كل سنة يخرج كل من كان في الحبوس من الولاية وما يدع في الحبوس أحد إن كان عليه دين اوفاه وعمر الزريبة جامعاً، وعمر في طرق الرمل البيارات وأصلح الطرق وإنشاء العديد من المساجد في دمشق وأوقف عليها الوقوف((الصفدي، ١٩٩٨م، صفحة 151) ((الشوكاني، د.ت، صفحة 373) ومدحه العديد من الشعراء لكرمه وفضله وجوده ومن ما قيل فيه:

اذا مـــا بـــار فضـــلك عنـــد قـــوم قصـــــدتهم ولـــــم تظفـــــر بطائـــــل

فخلهـــــم خـــــلاك الـــــذم وأقصـــــد كـــــريم الـــــدين فهـــــو أبـــــو الفضـــــائل

(أبن تغري بردي، ١٩٩٣م، صفحة 350)

و بالرغم من كثرة فضائل كريم الدين مساعدته للناس، غير إننا نجد إن النويري قد انفرد في كتابه بذكر بعض مساوئه في السلطة من بينها أنه قام بتحضير الأحكام الشرعية وعمل بغير حكم الله تعالى وسنه رسوله (ρ) ومنع نواب الحكام من سماع الدعاوى في الديون الشرعية الأمر الذي أدى بدوره إلى تعطل الأحكام الشرعية وتضرر الناس ولا يستطيع أحد إن يذكر ذلك له ولا يعيبه عليه، بل إن الكثير من المرائين يحسنون له ما فعله و يشكرونه عليه و قاموا بالدعاء له من مما ألقى بظلالة التام على الناس حتى إن المعاملات كادت أن تنقطع بينهم (النويري، د.ت، صفحة 40), ليس هذا فقط بل أنه يقوم باحتكار بعض الأصناف من الأقمشة و البضائع المتنوعة وينادي في كل مرة بجمع التجار إلى داره لحضور حلقة البيع فيحضروا على اختلاف طبقاتهم فيخرج الأصناف من الأقمشة وغيرها فيبيعها عليهم بما اختاره هو واتباعه و لا يقدرأحد من التجار على الامتناع (النويري، د.ت، صفحة 40).

ـ الجوانب العمرانية في عصره

أهتم كريم الدين بالناحية العمرانية كثيراً لا سيما فيما يتعلق منها بالأمور الدينية، فنجده إنشا جامعيين في دمشق و أوقف عليها الأوقاف الكثيرة، وأما هذه الجوامع فهي على ما يلي:

1- جامع الكريمي: سمي بذلك نسبة إلى مؤسسه كريم الدين الكبير الذي أمر ببنائه سنة ٧١٨هـ/1318م ، وعرف بتسميات عديدة هي جامع كريم الدين (الشهابي، ١٩٩٩م، صفحة ١٢١) وجامع القبيبات ((أبن كثير، ١٩٩٨م، صفحة 86) (البرزالي، ٢٠٠٦م، صفحة 305), وجامع الدقاق (الشهابي، ١٩٩٩م، صفحة 121)

وقد وصف ابن المبرد هذا الجامع في كتابه وذلك بقوله: هو مسجد عظيم له ثلاث أبواب بابان غربيان يؤديان إلى الطريق العام والثالث يؤدي إلى ساحة الحمام وله صحن عظيم جداً مفروش بالحجارة السود والبيض وفي جهاته الشرقية والغربية والشمالية ثلاثة أروقة ضخمة وفوق الرواق الشمالي تقع المنارة المربعة الجميلة و في الجبهة الجنوبية باب ضخم يكتنفه بابان أصغر يؤديان إلى القبلية، أما القبلية فعظمة جداً مستطيله الشكل لها سقف خشبي مستم يرجع إلى عهد بنائه الأول وفيها ثلاثة محاريب قديمة جميلة ولكنها مشوهة بالدهان وقد كتب على وسطها أنه جدد عام١٢٩٦ه/1878م ، والمنبر خشبي جميل الصنعة ولكنه مشهور بالدهان ايضاً، ووراء موقف الخطيب لوحة حجرية قديمة كتب عليها بخط ثلثي حسن أيه الكرسي ولعل هذه اللوحة ترجع إلى عهد البناء الأول (١٩٤٣م، صفحة ٢١٧).

ومن أبرز من خطب في هذا الجامع هو الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الواحد بن يوسف بن الرزين الحراني الاسدي الحنبلي، وهو من الصالحين الكبار ذوي الزهادة والعبادة والنسك وطيب الصوت وكان يحضر لهذا المسجد القضاة والأعيان إلى جانب عامة الناس (أبن كثير، ١٩٩٨م، صفحة 88), وعمل كريم الدين في سنة٧٢٠هـ /1320م على شراء نهر الكريمي بخمسة وأربعين ألفا أجراه في جدول الى جامعه وحصل به الأنس لأهل تلك الناحية ونصبت عليه الأشجار والبساتين، إضافة إلى ذلك نجده وعمل حوض كبير تجاه الجامع من المغرب يشرب منه الناس دوابهم حصل بذلك نفع وكبير لهم (الدمشقي، ١٩٩٠م، صفحة ٣٢١).

2- جامع القابون

لم ترد معلومات عن هذا الجامع في المصادر المتوفرة لدينا وإنما اكتفت فقط بذكر أسمه دون التطرق إلى التفاصيل عنه((أبن كثير، ١٩٩٨م، صفحة 116) ((الدمشقي، ١٩٩٠م، صفحة 322)(أبن العماد، ١٩٩٢م، صفحة 114).

ـ وقعة النصارى ٧٢١ه/1321م

قبل أن أبدأ الحديث عن هذه الواقعة لابد من القول إن الحرائق التي وقعت في القاهرة و معظم المناطق في مصر كانت رد فعل مباشر من قبل النصارى وذلك بعد الهدم والأضرار التي لحقت بالعديد من كنائسهم من قبل بعض العامة في عهد السلطان الناصر واما تفاصيل هذه الواقعة هي على النحو الآتي:

قام جماعة من العامة على هدم بعض الكنائس العائدة للنصارى بالقرب من إحدى الجوامع على نهر النيل وذلك في يوم الجمعة٩ ربيع الأخر ٧٢١هـ/1321م بالرغم من منع الأمراء لهم ونصحهم بعدم القيام بهذا الأمر، ولكنهم قرروا تنفيذ ما يدور في مخيلتهم، فاستغلوا انشغال الأمراء بالصلاة وقام بهدم العديد من الكنائس والسيطرة على البعض منها ومنها كنيسة الحمراء التي عدت من أعظم كنائس النصارى فنهبو أموالها وخمورها (المقريزي، 1997، الصفحات 36-37)

وعندما علم السلطان بذلك أرسل أحد الأمراء لتهدئة الأوضاع والإمساك بالثائرين غير أن الأمور لم تستقر بل ثار العامة بالقاهرة وهدموا المزيد من الكنائس وبلغ عدد الكنائس التي هدمت ٦٠ كنيسة، ونشروا فيها بعد خبر مفاده إن السلطان أمرهم بذلك ثم تبين بعد ذلك انهم فعلوا ذلك بغير أمر من السلطان (المقريزي، 1997، الصفحات 37-39)

غير أن الأوضاع لم تميل إلى الهدوء فنجد أنه في يوم السبت١٥ جمادى الأولى ٧٢١ه/1321م - وقع حريق بالقاهرة و معظم المدن في مصر، واشترك الأمراء مع الأهالي في أطفاء هذه الحرائق ونقلت المياه في وقتها من المدارس والحمامات والآبار في فخمدت الحرائق غير إنها سرعان ما اندلعت لمرات عديدة في المساجد وبيوت الأمراء والعامة من الناس (ابن تغري بردي، د. ت، الصفحات ٦٥-٦٧) ثم اتضح بعد ذلك إن كل هذه الحرائق كانت من كيد النصارى (العمري، د. ت، صفحة ٣٤١) الذين اعترفوا بدورهم من جماعة منهم قد اجتمعوا وعملوا الآلات الاحراق وفرقوها على بعض النصارى منهم من يدوروا بها على المواضع، وإنهم فعلوا ذلك هناك نكاية بالمسلمين بسبب هدم كنائسهم (ابن تغري بردي، د. ت، صفحة 6)

وخلال تلك الأثناء وصل كريم الدين من الإسكندرية وأعلمه السلطان بما وقع من القبض على النصارى، فقال كريم الدين (النصارى لهم بطرك يرجعون إليه وهو الذي يعرف أحوالهم)، فامر السلطان بطلب البطرك إلى بيته واستعلام الخبر منه فاتاه ليلاً في حماية والي القاهرة خوفا من العامة وأعلمه بما ذكره الرحبان واحضرهم إليه فذكروا له كما ذكر للوالي فبكا وقال (هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم والحكم للسلطان) ثم ركب بغله فشق ذلك على الناس وهموا به لولا خوفهم ممن حوله من المماليك (المقريزي، 1997، صفحة 42).

ولما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة بقولهم: (ما يحل لك يا قاضي ان تحامي النصارى وقد أضربوا بيوت المسلمين وتركبهم البغال) (المقريزي، 1997، صفحة 42), ليس هذا فقط بل إنهم رجموه بالحجارة (العمري، د. ت، صفحة 341), وعندما علم السلطان بذلك شق عليه هذا الأمر فاستشار امرائه في أمر العامة، فأشار إليه أحدهم بعزل الكتاب النصارى فلم يرضه ذلك ورأى السلطان بعد ذلك أن يقوم بإرسال بعض الأمراء مع جنوده من المماليك إلى وضع حداً لهؤلاء العامة فقبض على قسماً من العامة وبلغ عددهم حوالي المائتين وأرسل إلى السلطان فرسم بجماعة منهم للطلب وافرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدي، ومازالوا بالسلطان حتى أمر بصلب جماعة منهم على الخشب ولم يعلقوا بأيديهم فقعل بهم وذلك وأصبحوا يوم الأحد صفاً واحداً فتوجع لهم الناس (ابن تغري بردي، د. ت، صفحة 70).

ثم بعد ذلك توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق ومنعهم ومنهم من المباشرة في الديوان ما عاد بعد ذلك الى القاهرة فشفع في الإفراج عن المقيدين الذين قبض عليهم فاطلق سراحهم و أعطي كل واحد منهم عشره دراهم فضة وعشرة فلوس وقميصاً ثم استدعى المسجونون على الديوان وصالح غرمائهم وأخلا سبيلهم بحيث لم يبقى أحد في سجن القضاة واغلق السجن بعدها (أبن الوردي، ١٩٦٩م، صفحة ٣٨٨) ((المقريزي، 1997، صفحة 45)

ومما مضى نستنتج إن كلا الطرفين قد أصابهم الضرر من الناحية المادية والمعنوية فضلاً عن مقتل واصابة العديد منهم فغفر الله لهم جميعاً.

ـ نكبته

لم يلبث أن تغير السلطان الناصر على ناظره للخواص ومدبر دولته كريم الدين ألكبير، وربما إن الأمراء أو القادة الذين كانوا يحيطون بالسلطان لهم دوراً مباشراً في هذا التغيير الذي ألقة بظلاله الكبير على كريم الدين، فنجد أنه في يوم الخميس١٤ ربيع الأخر٧٢٣هـ/1323م أصدر السلطان أمراً بالقبض على كريم الدين ومصادرة أمواله، فسيطروا على دوره التي تقع في القاهرة وبركة الفيل و صودرت الأموال التي في خزائنه وحملت إلى القلعة فضلاً عن عدد من المماليك والجواري الأتراك، ثم أفرج السلطان عنه بعد ذلك يوم الاربعاء٢٤ جمادى الآخرة٧٢٣هـ/1323م، وإلزامه بأن يستقر مقامه في تربته التي أنشأها بالقرافة (موضع في مصر كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعافر وهي اليوم مقبرة أهل مصر وبها أبنية جليلة ومحال واسعة وأسواق ومشاهد للصالحين) (ياقوت الحموي، د. ت، صفحة 317) (المقريزي، 1997، صفحة 32) ثم أخرجه السلطان إلى الشوبك (قلعة حصينة تقع في أطراف الشام) (البغدادي، ١٩٩٢م، صفحة ٨١٨) (الذهبي، ١٩٨٥م، صفحة 71) ومنها إلى القدس، ثم أمر السلطان بإحضاره مجدداً إلى مصر وأرسل الأمير سيف الدين قطلوا المغربي الناصري من أجل ذلك وأخذت منه أموال وذخائر كثيرة ثم نفي إلى الصعيد وعندما استقر به المقام في أسوان (مدينة تقع في الصعيد آخر بلاد مصر)

(الحميري، ١٩٨٤م، صفحة 57) أمر السلطان بنفقات مالية له ولمن معه من عياله (النويري، د.ت، صفحة 33) (أبن كثير، ١٩٩٨م، صفحة 111).

- وفاته

بعد إن استقر المقام بكريم الدين الكبير في أسوان، وصلت الأخبار بعد ذلك بوفاته في ليله الخميس ٢٠ شوال٧٢٤هـ/1323م، إذا وجد مشنوقاً بعمامته (يعني أنه شنق نفسه) (المقريزي، 1997، صفحة 76) (ابن تغري بردي، د. ت، صفحة 75) وربما إن هذا الأمر ليس كذلك فلا بد من القول إنها قد تكون مؤامرة قد تم تنفيذها بنجاح للتخلص من كريم الدين وقيل أنه لما احس بمقتله توضأ وصلى ركعتين وقال: (هاتوا ما عندكم عشنا سعداء ومتنا شهداء أعطاني السلطان الدنيا و الآخرة) وقد شنق وقارب السبعين عاماً (أبن سباط، ١٩٩٣م، الصفحات 641-642) (أبن العماد، ١٩٩٢م، صفحة 114), وقد تركت وفاته أثراً عظيماً في نفوس الناس ومدحه والكثير من الشعراء من بينهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم وذلك بقوله:

كريمَ الدين عشت بكُلّ خَيْر ... ومت مماتَ كَلّ فتىً كريمِ

شهيداً قد دَرَجتَ بغيرِ ذَنْبِ ... ولا إثم يؤثم للأثيم

بلغت جميع ما تختارُ حتى ... بلوغك رحمه الله الرّحيم

إلى جّنات عدن صرت يا من ... له تشتاق جنات النعيم

وجدت بما صوت كفاك فينا ... لارمله وشيخ أويتيم

وللأمراء والفقراء حتى ... لا ترى كل محتاج عديم

(الصفدي، ١٩٩٨م، صفحة 153)

الخاتمة

توصلت دراستنا الى ما يلي:

1- ان كريم الدين الكبير لم يكن مسلماً في بداية حياته وانما نصرانياً ونتيجة لاختلاطه بالمسلمين فتأثر بمبادئ الدين الاسلامي وعمل على اعتناقه.
2- كانت له شخصية ادارية وسياسية وعسكرية ناجحة وذلك نتيجة لخبراته الطويلة في المناصب التي تولاها.
3- الظروف ساعدت كريم الدين في الانتقال لخدمة الدولة المملوكية.
4- الاهتمام الكبير الذي ابداه في مساعده جميع طبقات المجتمع لاسيما الفقيرة منها الامر الذي ادى بدوره الى صحبه الناس له من خلال سياسة التسامح التي اتبعها لاسيما انه كان يقوم بسداد ديوان الفقراء والافراج عنهم من السجون حتى قيل ان السجون اغلقت في عهدِه.
5- اهتمامهِ بنشر تعاليم الدين الاسلامي وبدا ذلك واضحاً من خلال اهتمامه بالعمل على انشاء المساجد في البلاد.
6- انهاء الصراع القائم بين المسلمين والنصارى في مصر سنة 721ه/1321م.
7- المنافسة وحقد القادة والامراء على كريم الدين الكبير فعملوا على الايقاع بينه وبين السلطان.
8- ان الطريقة التي قتل فيها كريم الدين الكبير قد اثرت وتركت إلماً كبير في نفوس الناس بالرغم من تقديمه الكثير من الخدمات الجليلة للدولة المملوكية غير انها نهاية الامر اوقعت بهِ

قائمـة المصـادر والمراجع

اولاً: المصـادر الاوليـة

- البرزالي، علم الدين ابو محمد القاسم بن محمد بن يوسف الأشبيلي الدمشقي(ت:٧٣٩هـ).(2006م) المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرازيلي، تح: عمر عبد السلام التدمري، ط١ المكتبة العصرية، (بيروت، لبنان).

- أبن بساط، حمزة بن أحمد بن عمر الغربي (ت: ٩٢٦هـ).(1993م) . صدق الأخبار تاريخ أبن بساط، تح. عمر عبد السلام تدمري، ط١، (طرابلس) .

- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق(ت: ٧٣٩هـ).(1992م) مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تح. علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، (بيروت، لبنان).

- أبن تغري بردي، جمال أبو المحاسن الاتابكي.(1993م) .المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تح: محمد محمد آمين، مركز تحقيق التراث، (القاهرة .مصر)

. (د.ت) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (مصر).

.الحميري، ابو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 900ه)(1984م). الروض المعطار في خبر الاقطار. تح. احسان عباس . ط2.مكتبة لبنان ، (بيروت ، لبنان) .

. الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي (ت: ٩٧٨هـ).(1990م) الدارس في تاريخ المدارس، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان).

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)(1985م) .ذيول العبر في خبر من غبر، تح: أبو هاجر محمد السعيد، ط١،دار الكتب العلمية،(بيروت، لبنان).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ).(2000م). الوافي بالوفيات، تح. أحمد الأرناؤوط- تركي مصطفى،ط١، دار إحياء التراث العربي،(بيروت، لبنان).

1998م ، أعيان العصر واعوان النصر، تح: على أبو زيد وأخرون،ط١، دار الفكر،(دمشق ، سوريا).

.العسقلاني .شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت852هـ).(1972م) .الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة .تح .محمد عبد المعيد. مطبعة دائرة المعارف العثمانية .(الهند).

- أبـن العمـاد، شـهاب الـدين أبـي الفـلاح عبـد الحـي بـن أحمـد بـن محمد العكـري الحنبلـي الدمشـقي (ت: ١٠٨٩هـ).(1992م) شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ط١، دار أبن كثير، (بيروت، لبنان).

- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت: ٧٤٩هـ).(د.ت). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان).

- الكتبي محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن (ت: ٧٦٤).(2000م). فوات الوفيات، تح: علي محمد معوض- عادل أحمد عبد الموجود،ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان).

- أبن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ).(1998م). البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، (مصر).
- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر(ت٨٤٥: هـ).(1997). السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، لبنان) .
- ابن المبرد، جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد الهادي الصالحي(ت: ٩٠٩هـ).(1943م) ثمار المقاصد في ذكر المساجد، تح: محمد أسعد طلس، (بيروت، لبنان).
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت: ٧٣٣هـ).(د.ت). نهاية الأرب في فنون الأدب، تح. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،(بيروت، لبنان).
- أبن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد المعري الكندي (ت: ٧٤٩هـ).

(1969م) تتمة المختصر في اخبار البشر المعروف بـ(بتاريخ أبن الوردي)، المطبعة الحيدرية، (النجف، العراق).

- ياقوت الحموي، شهاب الدين إبن عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي(ت. هـ).(د.ت). معجم البلدان ، دار صادر ،(بيروت، لبنان).

ثانياً: المراجع الثانوية

- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت: ١٢٣٧هـ).(د.ت). تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل،(بيروت، لبنان).
- الشهابي، قتيبة(1999م) . معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، (دمشق، سوريا)
- الشوكاني، محمد بن علي (ت:١٢٥٠هـ).(د.ت) . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة،(بيروت، لبنان).
- عبد العزيز، عبد الرحمن عبد الحميد.(2014م). إثر ناظم الدولة السياسية على الوزارة في العصر المملوكي(٦٨٤-٩٢٣د/ ١٢٥٠-١٥١٧ م)،(مصر).
- فواز، زينب.(د.ت).الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (مصر).